المبحث الخامس:
جمع القرآن وكتابته

أولاً: جمع القرآن الكريم كتابة من فم رسول الله ﷺ:

وردت لفظ «الجمع» بمعنى: «الحفظ مع دقة الترتيب» عدة مرات في كتاب الله وذلك من مثل قوله تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: 16 - 19].

كما وردت لفظة «الجمع» بمعنى: «الكتابة والتدوين» والمعنى الأول آتاه الله تعالى ـ لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ ـ ولعدد غير قليل من صحابته الكرام وممن تابعهم من الصالحين إلى اليوم وحتى يوم الدين، وهؤلاء تدارسوا القرآن الكريم ولا يزالون يتدارسونه ويستظهرونه لتمكنوا من القراءة به في الصلوات المكتوبة وفي النوافل وفي الاستشهاد وأما جمع القرآن الكريم بمعنى تدوينه كتابة فقد مرّ بمراحل ثلاثة:

أولها: جمع القرآن الكريم كتابة من فم رسول الله ﷺ[1].

إن جميع الأحاديث الواردة في هذا الشأن تتفق على أن ترتيب آيات القرآن، حسبما عليه المصحف الآن، إنما هو ترتيب توقيفي، لم يجتهد فيه رسول الله ولا أحد من الصحابة في عهده أو من بعده وإنما كان يتلقى ترتيبها بعضها إلى جانب بعض، وحياً من عند الله بواسطة جبريل.

---

(1) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، د. زغلول النجار.

روى أحمد بإسناده عن عثمان بن أبي العاص، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوّبه، قال: «أتاني جبريل فأمرني أن ضع هذه الآية هذا الموضع ببصره ثم صوّبه قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: 90][1].

إن من مظاهر عناية الله بالقرآن الكريم وحفظه ما تمّ على يد الرسول ﷺ وأمته من حفظ القرآن في صدورهم وكتابته في الصحف وقد بلغ الرسول ﷺ وأمته في ذلك أرقى مناهج التوثيق ذلك أن القرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ منجماً في ثلاث وعشرين سنة[2]، حسب الحوادث ومقتضى الحال، وكانت السورة تدون ساعة نزولها، إذ كان المصطفى ﷺ إذا ما نزلت عليه آية أو آيات قال: «**ضعوها في مكان كذا. . . سورة كذا**»[3].

ولهذا اتفق العلماء على أن جمع القرآن توقيفي، بمعنى أن ترتيبه بهذه الطريقة التي نراه عليها اليوم في المصاحف إنما هو بأمر الله ووحي من الله[4].

وما يقال عن ترتيب آيات القرآن هو الذي يقوله إجماع المؤرخين والمحدّثين والباحثين عن ترتيب السور ووضع البسملة في

(1) مسند أحمد، لا يأتيه الباطل، د. محمد سعيد رمضان، ص: 217.
(2) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 105.
(3) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (1/ 60 - 61).
(4) البرهان في علوم القرآن (1/ 234 - 235).

رؤوسها، قال القاضي أبو بكر بن الطيب رواية عن مكي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة «براءة» إن ترتيب الآيات في السور، ووضع البسملة في الأوائل هو توقيف من الله عَزَّوَجَلَّ ، ولما لم يؤمر بذلك في أول سورة براءة تركت بلا بسملة[1].

وروى القرطبي عن ابن وهب قال: سمعت سليمان بن بلال يقول سمعت ربيعة يُسأل: لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة، وإنما نزلتا في المدينة؟ فقال ربيعة: قد قدمتا، وألّف القرآن على علم ممّن ألفّه[2].

هذا عن ترتيب آي القرآن وسوره أما عن كتابته، فمن المعلوم أولاً أن النبي ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، أجمع على ذلك عامة المؤرخين وكل المشركين الذين كانوا على عهد رسول الله، لذا فقد كان يعهد بكتابة ما يتنزل عليه من القرآن إلى أشخاص من الصحابة بأعيانهم كانوا يُسمون كتّاب الوحي، وأشهرهم الخلفاء الأربعة وأُبيّ ابن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، وقدا كانوا يكتبون ما يتنزل من القرآن تباعاً حسب الترتيب الذي يأتي به جبريل فيما تيسر لهم، من العظام المرققة والمخصصة لذلك، وألواح الحجارة الرقيقة والجلود، وقد كانوا يضعون ما يكتبونه في بيت رسول الله ﷺ، ثم يكتبون لأنفسهم إن شاؤوا صوراً عنها يحفظونها لديهم، ولقد كان من الصحابة من يتتبع ما ينزل من

(1) لا يأتيه الباطل، محمد سعيد رمضان، ص: 217.

(2) تفسير القرطبي (1/ 61) البخاري (5/ 165).

آيات القرآن وتتبع ترتيبها فيحفظها عن ظهر قلب، حتى كان فيهم من حفظ القرآن كله، فمن المشاهير أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وآخرون[1].

وظل الصحابة يعكفون على حفظ القرآن غيباً، حتى ارتفعت نسبة الحفاظ منهم إلى عدد لا يحصى.

يتضح لك من هذا الذي ذكرناه أن القرآن وعاه الصدر الأول من الصحابة وبلغوه إلى من بعدهم بطريقتين اثنتين:

أحدهما: الكتابة التي كانت تتم للقرآن بأمر الرسول ﷺ لأشخاص بأعيانهم وكّل إليهم هذا الأمر ولم ينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه إلا والقرآن مكتوب كله في بيته.

الثانية: حفظه في الصدور عن طريق التلقي الشفهي من كبار قراء الصحابة وحفّاظهم الذين تلقوه بدورهم عن رسول الله ﷺ، الذي أقرهم على كيفية النطق والأداء[2].

وكان كل ما يكتب من آيات وسور القرآن الكريم بعد الوحي بها مباشرة يحفظ في بيت رسول الله ﷺ مع استنساخ كُتاب الوحي نسخاً لأنفسهم من جميع ما أملي على كل منهم وبذلك تم جمع القرآن الكريم كله كتابة وحفظاً على عهد رسول الله ﷺ[3].

---

(1) البرهان للزركشي (1/ 238)، الإتقان (1/ 58)، فتح الباري شرح البخاري (9/ 18)، لا يأتيه الباطل، ص: 218.

(2) لا يأتيه الباطل، ص: 219.

(3) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، ص: 68.

وثبت أن جبريل عليه السلام كان يعارض الرسول ﷺ بالقرآن مرّة واحدة في كل سنة ثم عارضه به في السنة التي توفي فيها ﷺ مرتين[1]، ومعنى هذا أن القرآن الكريم كان في صورته التامة في هذه السنة التي تمّ عرضه فيها مرتان، ولذلك شواهد كثيرة ذكرها العلماء من أظهرها ما أورده البغوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان، وزيد بن ثابت، والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرأون القراءة العامة فيه، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده الصديق في جمعه أولاً وولاّه عثمان كتبة المصحف[2].

على أن القرآن رغم ذلك لم يجمع بين دفتين في مصحف على عهد رسول الله ﷺ، وذلك لضيق الوقت بين آخر آية نزلت من القرآن وبين وفاته ﷺ[3].

ثانياً: جمع القرآن الكريم في مصحف واحد على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كان من ضمن شهداء المسلمين في حرب مسيلمة الكذّاب في اليمامة كثير من حفظة القرآن، وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر رضي الله عنه بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن حيث جمع من

(1) البخاري رقم 4710.
(2) شرح السنة (3/ 50)، تميز الأمة الإسلامية، د. إسحاق السعدي (1/ 595).
(3) لا يأتيه الباطل، ص: 219.

الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال[1]، وأسند أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا العمل العظيم والمشروع الحضاري الضخم إلى الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، يروي زيد بن ثابت رضي الله عنه فيقول: بعث إلي أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر[2] يوم القيامة بقراء القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ[3]؟ فقال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك[4]، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه[5]، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما كلفني به من جمع القرآن، فتتبعت القرآن من العسب[6] واللخاف[7]، وصدور الرجال، والرقاع[8]، والأكتاف[9]. قال: حتى

(1) حروب الردة وبناء الدولة، أحمد سعيد، ص: 145.
(2) استحر: كثر واشتد.
(3) أبو بكر الصديق للصلّابي ص: 262.
(4) هذه الصفات معيار لاختيار زيد.
(5) أي من الأشياء التي عندي وعند غيرك.
(6) العسب: جريد النخل.
(7) اللخاف: جمع لخفة: وهي صفائح الحجارة.
(8) الرقاع: جمع رقعة وهي قطع الجلود.
(9) الأكتاف: جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة.

وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، حتى خاتمة براءة، وكانت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم[1]، وعلق البغوي على هذا الحديث فقال: فيه البيان الواضح أن الصحابة ﷺ جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ من غير أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه شيئاً والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث وهو أنه كان مفرقاً في العسب واللخاف وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا فيه إلى خليفة رسول الله ودعوه إلى جمعه، فرأى في ذلك رأيهم فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يلقى أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية إن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في السور التي يذكر فيها كذا[2].

وهكذا يتضح للقارئ الكريم أن من أوليات أبي بكر

(1) البخاري رقم 4986.

(2) شرح السنة (4/ 522) للبغوي.

الصديق رضي الله عنه : أنه أول من جمع القرآن الكريم يقول صعصعة بن صوحان رحمه الله: أول من جمع بين اللوحين، وورث الكلالة[1]، أبو بكر.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :« **يرحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين**»[2].

وقد اختار أبو بكر رضي الله عنه زيد بن ثابت لهذه المهمة العظيمة، وذلك لأنه رأى فيه المقومات الأساسية للقيام بها وهي:

1 ـ كونه شاباً، حيث كان عمره 21 سنة، فيكون أنشط لما يطلب منه.

2 ـ كونه أكثر تأهيلاً، فيكون أوعى له، إذ من وهبه الله عقلاً راجحاً فقد يسر له سبل الخير.

3 ـ كونه ثقة، فليس هو موضعاً للتهمة، فيكون عمله مقبولاً، وتركن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب.

4 ـ كونه كاتباً للوحي، فهو بذلك ذو خبرة سابقة في هذا الأمر وممارسة عملية له فليس غريباً عن هذا العمل، ولا دخيلاً عليه[3].

هذه الصفات الجليلة جعلت الصديق يُرشح زيداً لجمع القرآن،

(1) الكلالة: من لا ولد له ولا والد.

(2) إسناده صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (7/ 196).

(3) التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد العجمي، ص: 73.

فكان به جديراً، وبالقيام به خبيراً.

5 ـ ويضاف لذلك أنه أحد الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ مع الإتقان وأما الطريقة التي اتبعها زيد في جمع القرآن فكان لا يثبت شيئاً من القرآن إلا إذا كان مكتوباً بين يدي النبي ﷺ ومحفوظاً من الصحابة، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، خشية أن يكون في الحفظ خطأ أو وهم، وأيضاً لم يقبل من أحد شيئاً جاء به إلا إذا أتى معه شاهدان يشهدان أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ وأنه من الوجوه التي نزل بها القرآن[1].

وعلى هذا المنهج استمر زيد رضي الله عنه في جمع القرآن حذراً متثبتاً مبالغاً في الدقة والتحري[2].

إن زيداً اتبع طريقة في الجمع نستطيع أن نقول عنها في غير تردد، أنها طريقة فذّة في تاريخ الصناعة العقلية الإنسانية وأنها طريقة التحقيق العلمي المألوف في العصر الحديث وأن الصحابي الجليل قد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة وأن هذه الدقة في جمع القرآن متصلة بإيمان زيد بالله، فالقرآن كلام الله جل شأنه فكل تهاون في أمره أو إغفال للدقة في جمعه وزر ما كان أحرص زيداً ـ في حسن إسلامه وجميل صحبته لرسول الله ﷺ أن يتنزه عنه.

إن ما قام به زيد بن ثابت رضي الله عنه بتكليف من خليفة المسلمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومعاونة

(1) التفوق والنجابة على نهج الصحابة، حمد العجمي، ص: 74.

(2) الصديق للصلّابي ص: 264.

عمر ﷺ وأُبيّ بن كعب ومشاركة جمهور الصحابة ممن كان يحفظ القرآن أو يكتبه[1]، وإقرار جمع من المهاجرين والأنصار مظهر من مظاهر العناية الربانية بحفظ القرآن الكريم وتوفيق من الله للأمة الإسلامية وشديد منه لمسيرتها ويتضمن ذلك ـ أيضاً ـ كما قال أبو زهرة: حقيقتين مهمتين تدلان على إجماع الأمة كلها على حماية القرآن الكريم من التحريف والتغيير والتبديل، وأنه مصون بعناية الله سبحانه وتعالى، ومحفوظ بحفظه وإلهام المؤمنين بالقيام عليه وحياطته[2].

الأولى: أن عمل زيد ﷺ لم يكن كتابة مبتدأة، ولكنه إعادة مكتوب[3]، فقد كتب القرآن كله في عهد النبي ﷺ، وعمل زيد الابتدائي هو البحث عن الرقاع والعظام التي كان قد كتب عليها والتأكد من سلامتها بأمرين، بشهادة اثنين على الرقعة التي فيها الآية والآيتان أو الآيات، وبحفظ زيد نفسه، وبالحافظين من الصحابة، وقد كانوا الجمع الغفير والعدد الكبير، فما كان لأحد أن يقول: إن زيداً كتب من غير أصل مادي قائم، بل إنه أخذ من أصل قائم ثابت مادي وبذلك نقرر أن ما كتبه زيد هو تماماً ما كتب في عصر الرسول ﷺ، وأنه ليس كتابة زيد، بل ما كتب في عصره عليه الصلاة والسلام وأملاه وما حفظه الروح القدس.

الثانية: أن عمل زيد لم يكن عملاً أحادياً، بل كان عملاً

(1) الحضارة الإسلامية، توفيق الواعي، ص: 281.
(2) تميز الأمة الإسلامية (1/ 603).
(3) المصدر نفسه (1/ 603).

جماعياً من مشيخة صحابة رسول الله ﷺ، فقد طلب أبو بكر إلى كل ما عنده شيءٌ مكتوب أن يجيء به إلى زيد وإلى كل من يحفظ القرآن أن يدلي إليه بما يحفظه، واجتمع لزيد من الرقاع والعظام وجريد النخل ورقيق الحجارة وكل ما كتب أصحاب رسول الله ﷺ، وعند ذلك بدأ زيد يرتبه ويوازنه ويستشهد عليه، ولا يثبت آية إلا إذا اطمأن إلى إثباتها، كما أوحيت إلى رسول الله[1].

واستمر الأمر كذلك، حتى إذا ما أتم زيد ما كتب، تذاكره الناس، وتعرفوه وأقروه، فكان المكتوب متواتراً بالكتاب ومتواتراً بالحفظ في الصدور، وما تمّ هذا الكتاب في الوجود غير القرآن[2] ـ وأيم الله ـ عناية من الرحمن خاصة بهذا القرآن العظيم[3].

وشرف للأمة الإسلامية أنها تميزت به على سائر الأمم ووفقها الله لخدمة كتابه في منهج علمي سبقت إليه جميع الأمم[4].

ثالثاً: جمع القرآن الكريم في عدد من المصاحف على عهد ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

1 - الباعث على جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع

(1) دراسات في القرآن، أحمد خليل، ص: 90.
(2) تميز الأمة الإسلامية (1/ 604).
(3) دراسات تاريخية من القرآن الكريم محمد بيومي، ص: 31 - 32.
(4) المصدر نفسه، (1/ 604).

أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخها في المصاحف ثم نردُّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام ﷺ، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرّهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصُحف في المصاحف رد عثمان ﷺ الصُحف إلى حفصة، فأرسل إلى كلِّ أفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة، أو مصحف أن يُحرق[1].

ويؤخذ من الحديث الصحيح أمور منها:

أ ـ أن السبب الحامل لعثمان ﷺ على جمع القرآن مع أنه كان مجموعاً، مرتباً في صحف أبي بكر الصديق، إنما هو اختلاف قرّاء المسلمين في القراءة، اختلافاً أوشك أن يؤدي بهم إلى أخطر فتنة في كتاب الله تعالى، وهو أصل الشريعة، ودعامة الدين، وأساس بناء الأمة الاجتماعي، والسياسي، والخُلُقي، حتى إن بعضهم كان يقول لبعض: إن قراءتي خير من قراءتك، فأفزع ذلك حذيفة ففزع إلى خليفة المسلمين، وإمامهم، وطلب إليه أن يدرك الأمة قبل أن تختلف، فيستشري بينهم الاختلاف، ويتفاقم أمره، ويعظم خطبه،

(1) البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم 4987.

فيُمسّ نصُّ القرآن، وتُحرّف عن مواضعها كلماته وآياته، كالذي وقع بين اليهود، والنصارى من اختلاف كل أمة على نفسها في كتابها.

ب ـ أن هذا الحديث الصحيح قاطع بأن القرآن الكريم كان مجموعاً في صحف ومضموماً في خيط، وقد اتفقت كلمة الأمة اتفاقاً تاماً على أن ما في تلك الصُّحف هو القرآن كما تلقته عن النبي ﷺ في آخر عرضية على أمين الوحي جبريل عليه السلام، وأن تلك الصحف ظلت في رعاية الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ثم عرف عمر حضور أجله ولم يولّى عهده أحداً معيناً في خلافة المسلمين، وإنما جعل الأمر شورى في الرّهط المعطفين بالرّضا من رسول الله ﷺ، أوصى بحفظ الصحف عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأن عثمان اعتمد في جمعه على تلك الصُّحف، وعنها نقل مصحفه «الرّسمي» وأنه أمر أربعة من أشهر قرّاء الصحابة إتقاناً لحفظ القرآن، ووعياً لحروفه، وأداءً لقراءاته، وفهماً لإعرابه ولغته: ثلاثة قرشيين وواحداً أنصارياً، وهو زيد بن ثابت صاحب الجمع الأول في عهد الصديق بإشارة الفاروق.

ـ وفي بعض الروايات: أن الذين أمرهم عثمان أن يكتبوا من الصحف اثنا عشر رجلاً، فيهم أُبيّ بن كعب، وآخرون من قريش والأنصار[1].

ج ـ ونأخذ من هذا: إن الفتوحات في عهد عثمان كانت بإذن

(1) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص: 171.

وأمر من الخليفة، وأن القرار العسكري يصدر من المدينة، وأن الولايات الإسلامية كلها كانت خاضعة لأمر الخليفة عثمان في عهده، بل يدّل على أن هناك إجماعاً من الصحابة والتابعين في جميع الأقاليم على خلافة عثمان، وقدوم حذيفة بن اليمان إلى المدينة، لرفع اختلاف الناس في قراءة القرآن، يدل على: أن القضايا الشرعية الكبرى كان يستشار فيها الخليفة في المدينة، وأن المدينة ما زالت دار ومجمع فقهاء الصحابة[1].

2 - استشارة جمهور الصحابة في جمع عثمان:

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار، وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الأمة، وأعلام الأئمة، وعلماء الصحابة، وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها، ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، فأجابوه إلى رأيه في صراحة لا تجعل للريب إلى قلوب المؤمنين سبيلاً، وظهر للناس في أرجاء الأرض من عقد عليه إجماعهم فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفى على آحاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين[2].

إن عثمان رضي الله عنه لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه، إنما فعله عن مشورة للصحابة رضي الله عنهم وأعجبهم هذا الفعل، وقالوا:

(1) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 244).

(2) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص: 175.

نعم ما رأيت، وقالوا: أيضاً قد أحسن أي: في فعله في المصاحف[1].

وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي ﷺ حين مشق[2]، عثمان رضي الله عنه المصاحف، فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل[3] منه، وكان علي رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك، ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً ـ أو قولوا خيراً ـ فوالله ما فعل الذي فعل ـ أي في المصاحف ـ إلا عن ملأ منا جميعاً، أي: الصحابة.... والله لو وليت، لفعلت مثل الذي فعل[4].

وبعد اتفاق هذا الجمع الفاضل من خيرة الخلق على هذا الأمر المبارك، يتبين لكل متجرد عن الهوى: أن الواجب على المسلم الرضا بهذا الصنيع الذي صنعه عثمان رضي الله عنه وحفظ به القرآن الكريم[5].

قال القرطبي في التفسير: وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار، وجلة أهل الإسلام، وشاورهم في ذلك، فاتفقوا على جمعه بما صح، وثبت من القراءة المشهورة عن النبي ﷺ واطراح ما سواه، واستصوبوا رأيه، وكان رأياً سديداً موفقاً[6].

---

(1) فتنة مقتل عثمان بن عفان (1/ 78)، محمد الغبان.
(2) مشق في الكتابة: مد في حروفها وجودها.
(3) التاريخ الصغير للبخاري (1/ 94)، إسناده حسن لغيره.
(4) فتح الباري (9/ 18)، إسناده صحيح.
(5) فتنة مقتل عثمان بن عفان (1/ 78).
(6) الجامع لأحكام القرآن (1/ 78).

3 - الفرق بين جمع الصديق، وجمع عثمان ﷺ:

الفرق بين أبو بكر وجمع عثمان: أن جمع أبي بكر كان لخشيته أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سورهم على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثُر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضاً، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم دفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى: أن الحاجة قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة[1].

هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

ذهب الشيخ المحقق صادق عرجون رحمه الله إلى أنَّ: صحف الصِّدِّيق التي كانت أصلاً للمصحف الإمام بإجماع المسلمين لم تكن جامعة للأحرف السبعة التي وردت في صحاح الأحاديث بإنزال القرآن عليها، بل كانت حرف منها، هو الذي وقعت به العرضة الأخيرة، واستقرَّ عليها الأمر في آخر حياة رسول الله ﷺ، وإنما كانت الأحرف السبعة أولاً من باب التّيسير على الأمة، ثم ارتفع حكمها لمَّا استفاض القرآن، وتمازج الناس، وتوحَّدت لغاتهم، قال الإمام الطحاوي: إنَّما كانت السَّعة للناس في الحروف، لعجزهم

(1) عثمان بن عفان للصلّابي، ص: 253.

عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنَّهم كانوا أمِّيين، لا يكتب إلا القليل منهم، فلمَّا كان يشقُّ على كل ذي لغة أن يتحوَّل إلى غيرها من اللغات، ولو رَام ذلك لم يتهيّأ له إلا بمشقة عظيمة ـ وُسّع لهم ـ فلا اختلاف الألفاظ، إذا كان المعنى متَّفقاً، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها. وقال ابن عبد البرِّ فبات بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقف خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثمَّ ارتفعت تلك الضرورة، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد[1].

وقال الطبري: إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة، وإنما كان جائزاً لهم، ومرخصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة: أن الأمة تفترق، وتختلف ـ إذا لم يجتمعوا على حرف واحد ـ أجمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً، وهم معصومون من الضلالة[2].

وهذا الحرف الذي كتبت به صحف الإجماع القاطع، ونقل عنها المصحف الإمام - جامع لقراءات القرّاء السبعة وغيرها، ممّا يقرأ به الناس، ونقل متواتراً عن رسول الله ﷺ، لأنّ الأحرف الواردة في الحديث غير هذه القراءات[3].

---

(1) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص: 180.

(2) المصدر نفسه، ص: 180.

(3) المصدر نفسه، ص: 180.

4 - عدد المصاحف التي أرسلها عثمان ﷺ إلى الأمصار:

لمّا فرغ عثمان ﷺ من جمع المصاحف، أرسل إلى كل أفق بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسله إلى الآفاق وقد اختلفوا في عدد المصاحف التي فرّقها في الأمصار، فقيل: إنها أربعة، وقيل: إنها خمسة، وقيل: إنها ستة، وقيل: إنها سبعة، وقيل: ثمانية، أما كونها أربعة، فقيل: إنه أبقى مصحفاً بالمدينة، وأرسل مصحفاً إلى الشام، ومصحفاً إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة، وأما كونها خمسة، فالأربعة المتقدم ذكرها ومصحفاً لأهل مكة، وأما كونها ستة فالخمسة المتقدمة، والسادس اختلف فيه، فقيل: جعله خاصاً لنفسه، وقيل أرسله إلى البحرين، وأما كونها سبعة، فالستة المتقدم ذكرها، والسابع أرسله إلى اليمن، وأما كونها ثمانية، فالسبعة المتقدم ذكرها والثامن كان لعثمان يقرأ فيه وهو الذي قتل وهو بين يديه[1].

وبعث ﷺ مع كل مصحف من يرشد الناس إلى قراءاته بما يحتمله رسمه من القراءات مما صح وتواتر، فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمٰن السُّلمي مع المصحف الكوفي، وعامر ابن قيس مع المصحف البصري، وأمر زيد بن ثابت أن يقرئ الناس بالمدني[2].

من هذا الاستعراض يتضح أن حفظ القرآن الكريم قد تم

(1) أضواء البيان في تاريخ القرآن، صابر حسن، ص: 77.

(2) المصدر نفسه، ص: 78، عثمان بن عفان للصلّابي، ص: 256.

بطريقة لم يحظ بها كتاب آخر في تاريخ البشرية كلها، وذلك لأن الله تعالى هو الذي تعهد بحفظه قائلاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

فوفق الله ـ سبحانه ـ نفراً من عباده الصالحين ليقوموا بهذا الدور العظيم في ظل من الرعاية الإلٰهية التي حفظت لنا القرآن حفظاً كاملاً، حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة، في نفس لغة الوحي «اللغة العربية» على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن العظيم شاهداً على الخلق أجمعين بأنه كلام رب العالمين[1].

(1) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي، ص: 70 - 71.